المقتطف

الجزء السادس من المجلد السابع والاربعين

١ دسمبر (كانون اول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢٣ محرم سنة ١٣٣٤

الخمر والنبيذ

اعتذار وايضاح

نشرنا في مقتطف نوفمبر الماضي انتقاد حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار على ما نشرناهُ في اكتوبر عن الخمر. وقد تناول انتقادهُ اربعة امور حقيقة بالنظر

الاول ان تحريم الخمر ثابت بنص القرآن والاحاديث المتفق على صحتها

والثاني ان النبيذ غير الخمر وهو نقيع التمر او الزبيب وغيرهما — الذي يسميهِ اهل سورية النقوع واهل مصر الخشاف — اذا اشتدَّ فصار يسكر كثيرهُ

والثالث ان الشراب الذي كان يشربهُ بعضُ خلفاء بني العباس والمذكور في مثل كتاب الاغاني هو النبيذ في الغالب

والرابع ان الشعر في الخمر لا يدلُّ على شيء فان اكثر من نظم الشعر طرق باب الخمريات

اما الامر الاول وهو ان الخمر محرَّمة بنص القرآن فلم يغب عنا وقد اشرنا اليهِ في المقالة المسهبة التي كتبناها في تاريخ المسكرات سنة ١٨٩٧ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف حيث قلنا « ولما جاء الشرع الاسلامي حرَّم الخمر مطلقاً لكن العلماء اختلفوا في اطلاق تحريمها (على النبيذ) وقد اشار الى ذلك ابن الرومي » الخ. وكلتا (على النبيذ) ساقطتان من المطبوع ولكن القرينة تدلُّ عليها ولا يستقيم المعنى بغيرها. وقد الهمى سقوطها الى خطإ صريح في الجزء الماضي حيث قيل ان العلماء مختلفون في تحريم الخمر والحقيقة انهم مختلفون في تحريم النبيذ. وهذا ما نعتذر عنهُ ونشكر حضرة الاستاذ لانهُ نبهنا اليهِ

هذا من حيث الامر الاول وهو فقهي ويجب الوقوف فيهِ عند قول الفقهاء. واما الامور الثلاثة الباقية فالبحث فيها لغوي وكيماوي وتاريخي واجتماعي وهي من مباحثنا وفيها نقول

(١) الفرق بين الخمر والنبيذ — قال لسان العرب « انما سمي (النبيذ) نبيذاً لان الذي يتخذهُ يأخذ تمراً او زبيباً فينبذهُ في وعاء او سقاء (و يصب) عليهِ الماء و يتركهُ حتى يفور فيصير مسكراً . وسواء كان مسكراً او غير مسكر فانهُ يقال لهُ نبيذ و يقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر » . والفوران يدل على حدوث الاختمار الكحولي لانهُ حادث من تولُّد غاز الحامض الكربونيك . ولا يخفى على دارسي علم الكيمياء ان جراثيم الاختمار تعمل بالسوائل التي فيها سكَّر كعصير العنب ونقيع التمر وتحل دقائق السكر الى كحول (سبيرتو) وغاز الحامض الكربونيك

وكل نقيع فيهِ سكَّر اذا اختمر وفار تولَّد فيهِ كحول مسكر . ولكن مقدار الكحول قد يكون قليلاً فيهِ فلا يسكر من يشرب منهُ كؤوساً قليلة كما لا يسكر من صب كاساً من الكنياك في جرة من الماء ثم شرب كاساً منها

والفرق الصناعي بين الخمر والنبيذ من هذا القبيل ان نسبة السكر في عصير العنب الى الماء الذي فيهِ محدودة فيكون مقدار الكحول فيهِ محدوداً واما نقيع الحبوب والاثمار فماؤهُ غير محدود يمكن ان يزاد فيقل الكحول بالنسبة اليهِ و يقل اسكارهُ حتى لا يُشعَر بهِ او يقلَّل الماء الذي يصبُّ عليهِ فيزيد الكحول بالنسبة اليهِ و يزيد اسكارهُ . وسواء كان الشراب عصير عنب او نقيع تمر يمكن ان يغلى حتى تموت جراثيم الاختمار التي فيهِ قبلما تحل سكَّرهُ فيصير دبساً او ما يشبه الدبس

واكثر الاشربة الروحية المسكرة جداً لا يستخرج الآن من عصير العنب بل يصنع من سبيرتو الحبوب . فالعرق والكنياك يستخرجان من عصير العنب و يصنعان ايضاً من سبيرتو الحبوب . والروم يستخرج من دبس قصب السكر . والوسكي والجن من الحبوب

وهناك امر آخر يجعل اكثر الانبذة اشد فعلاً من الخمر وذلك ان فيها سمّاً ناقعاً قلما يكون في الخمور وهو المسمَّى بالفرفرال وهو مادة تكون في قشور الحبوب التي تستخرج الانبذة منها

ويظهر مما ذُكر عن النبيذ في الكشَّاف والمحاضرات والعقد الفريد وغيرها انهُ كان شراباً قويهً يسكر وكثيرهُ يسكر ككل الاشربة الكحولية

نأتي الآن الى الامر الثالث وهو ان الشراب الذي كان يشربهُ بعض خلفاء بني العباس والمذكور في مثل كتاب الاغاني هو النبيذ في الغالب

فنقول ان ما ذكرهُ الاستاذ هنا على فرض صحتهِ لا دليل فيهِ على ان ذلك النبيذ لم يكن مسكراً لاسيما وان النبيذ قد يكون اشد اسكاراً من خمر العنب كما تقدَّم . وما يروى عن

مجالس الشرب والندمان يدل على ان الشاربين كانوا يسكرون وانهم كانوا يقصدون الشرب ليسكروا

الامر الرابع ان الشعر في الخمر لا يدل على شيء

اذا طعنّا في بعض ما رواهُ الرواة من اخبار الخلفاء والامراء والعلماء بانهُ موضوع وقلنا ان « في اسانيدهم كثيراً من الكذابين » عسر الطعن في الاشعار بانها موضوعة كلها والشعر ديوان العرب وتاريخهم وهل يعقل ان نوابغ الشعراء نسبت الاشعار الخمرية اليهم وهم لم ينظموها او نظموا ما نظموهُ ووصفوا الخمر وذكروا طعمها وفعلها وهم لم يروها ولا رأوا من شربها

ولا نخالف حضرة الاستاذ في ان شرب المسكرات قليل الآن في كل البلاد الاسلامية بل هو قليل في مصر بالنسبة الى غيرها من البلدان الاوربية فان اهالي القطر المصري وعددهم ١٢ مليوناً لا يشربون في السنة من المسكرات ما ثمنهُ اكثر من مليوني جنيه واكثرها يشربها الاوربيون النازلون بينهم بينما سكان بريطانيا العظمى وعددهم نحو ٤٥ مليوناً يشربون في السنة من المسكرات ما ثمنهُ ١٦٠ مليوناً من الجنيهات

ثم اذا قابلنا بين الممالك الاوربية من حيث انفاقها على المسكرات وجدنا انها تنفق على نسبة غناها افلا يحتمل ان سكان هذا القطر وكل الممالك الشرقية كانوا يكثرون من شرب المسكرات حينما كان لهم الثراء الوافر في ايام عزهم . وسواء كانوا يكثرون من شربها او لا يكثرون فان اخبارهم واشعارهم تدل على ان شرب المسكرات كان شائعاً بينهم

ونحن من الذين يكرهون المسكرات على انواعها وينهون عنها ويجاهرون بمضارها ويحثون الناس على هجرها . ولو جُمع ما كتبناهُ في المقتطف وقلناهُ على منابر الخطابة في ذم المسكرات وتبيين مضارها بالادلة العلمية لملأ مجلداً كبيراً . ولما كان الاطباء يقولون باستعمال الخمور لتسهيل الهضم ولتقوية البدن منذ عقدين او ثلاثة كنا نخالفهم ونحاجهم بما نجمعهُ وننشرهُ من الادلة العلمية . وقد عاد الآن كثيرون من اصدقائنا الاطباء الى رأينا . ومع ذلك لا ننكر ان الميل الى شرب المسكرات يسير مع العمران فقد يدلُّ على حداثة دخول المسكرات بين الامم او على غنى الامم وارتقائها كما تزكو الحشائش والحشرات المضرة في بلاد دخلتها حديثاً او في ارض كثيرة الخصب

ولتحريم الخمر وكل المسكرات شأن كبير في نفوسنا ونودُّ ان يعمل به جميع الناس مهما كان دينهم واننا نكرر الشكر لحضرة الاستاذ لانهُ نبهنا الى الخطإ المذكور آنفاً ولانهُ لا يألو جهداً في حث الناس بالكتاب والسنة على نبذ المسكرات